

علم المناسبات بين سور وآيات في ضوء تدبر القرآن الكريم

د. طارق يوسف إسماعيل سليمان

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة / فلسطين / غزة

للتوصل

Tareq19851@gmail.com

Tareq19851@hotmail.com

ملخص

من أهم ما يحتاجه القارئ لكتاب الله تعالى هو التدبر والتأمل فيه، والغوص في معانيه، ومن العلوم التي تنتج من تدبره: تأمل المناسبات بين السور والأيات؛ والنص القرآني وبيان إعجازه لا يمكن تناوله بمعزل عن سياقه الداخلي المتمثل في سورة وأياته، ومدى الترابط الوثيق بين أجزائه.

في المبحث الأول بين الباحث تعريف المناسبات وكذا التدبر، وأظهر ما بين التعريفين من علاقة، فهما علمان من علوم القرآن الكريم، كلاهما يحتاج إلى تفسير الآيات القرآنية، فلا يحصل التدبر من غير معرفة المعنى، وكذلك لا يستطيع الوصول إلى المناسبة من غير معرفة المعنى، وبهدفان إلى إبراز إعجاز القرآن الكريم من خلال نظمه، وروعة أسلوبه، وسبك ألفاظه.

ثم ينتقل الباحث للمبحث الثاني مبيناً أهمية علم المناسبات لمتدربر القرآن الكريم، وأن استنباط المناسبات هو في قوة ملاحظة المستتبط المتدربر لآيات القرآن الكريم؛ ولذا تختلف الاستنباطات باختلاف الناس، فأفهام الناس متباعدة ومتفاوتة، ومنه ينتقل إلى كيفية معرفة المناسبة واستخراجها، مبيناً أنواع المناسبات في القرآن الكريم كما بينها العلماء في كتبهم، كل حسب اجتهاده وتدربره في آيات القرآن الكريم و سوره.

ثم خاتم البحث في بيان ثمرات العلاقة بين علمي المناسبات والتدربر وفوائدها.

وقد اتبع الباحث في كتابته المنهج التحليلي القائم على تتبع أقوال العلماء، وتحليلها، واستخراج العلاقة بين هذين العلمين، مبيناً أهمية المناسبات في ضوء تدبر القرآن الكريم، وثمرات ذلك وفوائده.

وبذلك تكونت نتيجة البحث أن المناسبات بين السور والأيات ثابتة لا ريب، ولا تخلو آية من كتاب الله تعالى إلا وبينها وبين سبقها ولاحقها ترابط وثيق، واتصال عميق، وغاية ذلك هو الوصول إلى الهدايات والمضامين القرآنية، ولا يتم كل ذلك إلا من خلال تدبر سور القرآن الكريم وأياته، مع التأمل والتفكير وبذل الجهد في ذلك.

الكلمات المفتاحية: المناسبات/ تدبر/ إعجاز/ آية/ ترتيب القرآن/ تفسير

Abstract

One of the most important things the reader needs for the Qur'an is to reflect on it, to delve into its meanings, and to the sciences that result from its thinking: to devise occasions between the surah and the verses^c the Qur'anic text and the statement of its miracle cannot be addressed in isolation from its inner circle of surah and verses, and the close interconnection of its parts.

In the first research between the researcher the meaning of the occasions as well as the reflection, and showed between the two definitions of a relationship, they are sciences of the Holy Quran^c Both need to interpret the Qur'anic verses, so that they do not have to think without knowing the meaning, nor can they reach the occasion without knowing the meaning, they aim to highlight the miracle of the Qur'an through its systems, the magnificence of its style, and the casting of its words.

The researcher then moves on to the second research, indicating the importance of the science of occasions for the contemplator in the Qur'an, and that the development of events between the surah and the verses is in the power of the observation of the mastermind of the verses of the Holy Quran, and therefore the conclusions vary differently people, the understandings of people are different and varied^c

From there, the researcher moves on to knowing the extraction of the occasion, indicating the types of occasions in the Qur'an, as the scholars said in their books, each according to his diligence and his reflection in the verses of the Qur'an and its surah.

The research concludes in a statement of the fruits of the relationship between the sciences of occasions and the thinking and their benefits.

In writing, the researcher followed the analytical approach based on tracking the words of scholars, analyzing them, and extracting the relationship between these two sciences, which indicates the importance of the occasions between the surah and the verses in the light of thinking about the Qur'an, and showing its fruits and benefits.

Thus, the result of the research was that the occasions in the Surah and the verses are certainly fixed, and there is no verse from the Book of God except between them and its predecessor follow-up deep, and its purpose is to access the contents of the Qur'an and all this is done only through the events of the Qur'an and its verses, with hope, reflection and action in it.

Keywords: Occasions /Reflection/Miracle/Verses/Order of the Qur'an/Interpretation

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل كتابه المجيد بأحسن أسلوب، وأبهى بحسن أساليبه وبلاعه تركيبه العقول والقلوب، والصلة والسلام على أكرم رسله، وخيره أنبيائه، صلاة تملئ أركان الأمكنة، وسلاماً يُعطّر أجواء الدهور والأزمنة، أما بعد: قد بيّن الله سبحانه الغاية من إنزال القرآن فقال سبحانه (ج ج ج ج ج ج) ^(١)، وتدبر القرآن هو مفتاح للعلوم والمعارف، وبه يزداد الإيمان في القلب، وكلما ازداد العبد تأملاً فيه ازداد علماً وعملاً وبصيرة.

والمتذير للقرآن لا يقتصر على هذا الذي لا تقتضي عجائبه، سيان في ذلك مطلعه ومقطعه، وأوله وأخره، ولا زال العلماء يعتقدون بهذا الكتاب الكريم وما يتعلق به من علوم، ومنها علم المناسبات بين سور وآيات؛ لذا اختارت هذا الموضوع؛ لأن هذا الفن يعين على فهم كلام الله وتدبره، وكان بعنوان "علم المناسبات بين سور وآيات في ضوء تدبر القرآن الكريم".

أهمية البحث:

لقد كان للعلماء اهتمام بكتاب الله تعالى، واهتمام خاص بتفسيره وتدبره؛ فهو على رأس العلوم جميعاً، وكل علم يشرف بشرف قائله، ولما كان علم المناسبات يتعلق مباشرةً بتدبر كتاب الله تعالى كان من أجل العلوم شأنها، وأقواها برها، وأعظمها بياناً، فهو باب عظيم لهم كتاب الله وتدبر معانيه، وكونه يعني بكشف أسرار الترابط القرآني بين سور القرآن وآياته.

أهداف البحث:

- ١- جاء هذا البحث لبيان مدى العلاقة بين علمين شريفين من علوم القرآن الكريم، وهما "التدبر" و"المناسبات"، فيما يهتم علمان شريفان تحرز بهما العقول ويعرف بهما قدر القائل فيما يقول.
- ٢- قد قل اهتمام العلماء بهذا العلم، حتى ظهر فيهم من ينكر تلك المناسبات بين سور وآيات؛ بل وينسب من يهتم بذلك إلى التكلف، وتتكب الصعاب، بل يرى آخرون أنه علم لا طائل من ورائه؛ لذا رأيت أن أكتب حول أهمية علم المناسبات لمتذير القرآن الكريم، وأبين مدى علاقته بتدبر القرآن الكريم.
- ٣- الالتفات إلى الحكمة من ترتيب سور القرآن الكريم وآياته، والاهتمام باستخراج المعاني والحكم والطائف التي لا يتوصل إليها إلا المتذير لكتاب الله تعالى.

مشكلة البحث:

من أهم ما يحتاجه القارئ لكتاب الله تعالى هو التدبر والتأمل فيه، والغوص في معانيه، ومن العلوم التي تساعد المتذير لكلام الله على ذلك: تأمل المناسبات بين سور وآيات، وما حوت عليه من الفصاحة والبلاغة وحسن النظم وبديع السبك، وقد قل اهتمام العلماء بهذا العلم، حتى ظهر فيهم من ينكر تلك المناسبات بين الآيات والسور، بل وينسب من يهتم بذلك إلى التكلف، وتتكب الصعاب، بل يرى آخرون أنه علم لا طائل من ورائه، لذا رأيت أن أكتب حول هذا العلم، وأبين أهميته، وعلاقته الوثيقة بتدبر كتاب الله عز وجل.

(١) [سورة ص: ٢٩].

منهج البحث:

اتبعنا في هذا البحث المنهج التحليلي.

خطة البحث:

وقد قسمت البحث إلى مقدمة ومحبثن وخاتمة:

المبحث الأول: تعريف علم المناسبات، وعلم تدبر القرآن الكريم، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المناسبات في اللغة واصطلاح العلماء.

المطلب الثاني: التدبر في اللغة واصطلاح العلماء.

المطلب الثالث: العلاقة بين تعريف علمي المناسبات والتدبر.

المبحث الثاني: علم المناسبات في ضوء تدبر القرآن الكريم، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أهمية علم المناسبات لمتدبر القرآن الكريم.

المطلب الثاني: معرفة المناسبات وأنواعها في ضوء تدبر العلماء للسور والآيات.

المطلب الثالث: ثمرات العلاقة بين علمي المناسبات والتدبر وفوائدها.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج، والتوصيات، ثم الفهارس.

والله أعلم أن يجعل هذا العمل خالصاً صائبأً، وأن يجعله مباركاً نافعاً، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه
أجمعين.

وكتبه

د. طارق يوسف إسماعيل سليمان الغزي

المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم

فلسطين/غزة

المبحث الأول: تعريف علم المناسبات، وعلم تدبر القرآن الكريم، وفيه ثلاثة مطالب:

إن تحرير المصطلحات العلمية وضبطها من أهم المسائل التي يعني بها العلماء لضبط العلوم، ولا بد لنا في هذا البحث من إيضاح المصطلحات الواردة في عنوانه حتى يسهل على القارئ فهمه وبيانه.

المطلب الأول: المناسبات في اللغة واصطلاح العلماء.

المناسبة لغة: النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء، والنسيب: الطريق المستقيم؛ لاتصال بعضه من بعض^(١)، والنسب واحد الأنساب، وفلان يناسب فلاناً فهو نسيبه أي قريبه، وبينهما مناسبة أي مشاكلة^(٢)، والنسابة: البليغ العالم بالأنساب، وتقول: ليس بينهما مناسبة أي مشاكلة^(٣).
والمناسب القريب وبينهما مناسبة، وهذا يناسب هذا أي يقاربه شبهأ^(٤)، ويقال ناسب الأمر أو الشيء فلاناً لاءمه وواافق مزاجه^(٥).

وقد زاد الزركشي في كتابه البرهان فقال: "ومنه المناسبة في العلة في باب القياس أي الوصف المقارب للحكم؛ لأنه إذا حصلت مقاربته له ظن عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم، ولهذا قيل المناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول"^(٢)، و تستعمل النسبة في مقدارين متجانسين بعض التجانس يختص كل واحد منهما بالآخر^(٣).

ويظهر من خلال ما تقدم أن المناسبة في اللغة تعني المقاربة، والمشاكلة، والمماثلة بين شيئين يتصل كل منهما بالآخر.

وأما المناسبة اصطلاحاً: فقد بين الجرجاني في كتابه التعريفات أن النسبة: "إيقاع التعلق بين الشيئين"^(١١). وعرفه الإمام البقاعي بأنه: "علم ثُرِفَ منه علل ترتيب أجزاء القرآن"^(١٢)، وكذلك: "علم ثُرِفَ منه علل ترتيب أجزاءه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال، لما اقتضاه الحال"^(١٣). وعرفه غيره بأنه: "بيان وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة، أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أو بين السورة والسورة"^(١).

(١) انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، (٤٢٣-٤٢٤) / ٥.

(٢) انظر: الرازي، مختار الصحاح، (ص: ٣٠٩)، الفيروزآبادي، القاموس المحيط، (ص: ١٣٧).

(٣) انظر: ابن منظور، لسان العرب، (١/٧٥٦).

^٤) انظر: الحموي، المصباح المنير، (٦٠٢ / ٢).

(٥) انظر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، (٢/٩١٦).

^(٦) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (١/٣٥).

^(٧) الراغب، المفردات في غريب القرآن، (ص: ٨٠١).

(٨) [الفرقان: ٤٥].

[١٥٨] (٩) الصّافات:

(١٠) المؤمنون: ١٠١

(١١) الجرجاني، التعريفات (ص: ٢٤١).

^{١٢}) البَعْاعِيُّ، نُظمُ الدَّرَرِ، (٥/١).

(١٢) البغاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (١٤٢٠).

وأطلق عليه عبد الحميد الفراهي^(٢) بأنه: "علم النّظام"، ومرادنا بالنّظام أن تكون السورة وحدة متكاملة، ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة، وعلى هذا الأصل، ترى القرآن كله كلاماً واحداً، ذا مناسبة وترتيب في أجزائه من الأول إلى الآخر"^(٣).

ومن التعريفات الجامعة للمناسبة بأنها: "الرابطـة بين شيئاً بأي وجه من الوجوه وفي كتاب الله تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها، وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها"^(٤).

العلاقة بين التعريف اللغوي والاصطلاحي:

يبدو أن هناك توافق بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للمناسبة، فكلـاهما يعني أن الآية وجارتها شقيقـتان، يربطـيهما بشكل ما، كما يربطـ النـسبـ بين المـتنـاسـبيـنـ، غيرـ أنـ ذلكـ لاـ يعنيـ أنـ تكونـ الآـيـاتـ مـتمـاثـلةـ كلـ التـمـاثـلـ؛ بلـ ربماـ يكونـ بينـهاـ تـبـاعـدـ فيـ المعـنىـ؛ لكنـ هـنـاكـ رـابـطـ ماـ يـرـبـطـ بـيـنـهـماـ، أوـ يـقـارـبـ بـيـنـهـماـ، سـوـاءـ تـوـصـلـ إـلـيـهـ الـعـلـمـاءـ أـمـ لـاـ، فـقـدـ تـظـهـرـ أـحـيـانـاـ، وـتـخـتـفـيـ أـحـيـانـاـ أـخـرـىـ، وـفـيـ هـذـاـ مـجـالـ لـتـسـابـقـ الـأـفـهـامـ^(٥).

المطلب الثاني: التدبر في اللغة واصطلاح العلماء.

التدبر لغة: أصل الكلمة التدبر من الفعل الثلاثي (دبر) أو الرباعي (أدبر)، وهي في معاجم اللغة تدور حول عدة معان، أهمـهاـ: مؤـخرـةـ الشـيءـ، وـنـهـائـتهـ^(٦)ـ، وـالتـولـيـ وـالـذـهـابـ^(٧)ـ، وـالـنـظـرـ فيـ عـوـاقـبـ الـأـمـورـ^(٨)ـ، وـالـتـفـكـرـ وـالـتـفـهـمـ^(٩)ـ، وـالـهـجـرـ وـالـمـقاـطـعـ^(١٠)ـ.

ونجد أن أصل المادة يدور حول: أواخر الأشياء وعواقبها، وتفكير فيها.

واما اصطلاحاً: فتنوعت تعريفات العلماء للتـدـبـرـ، ومنـ أـهـمـ هـذـهـ التـعـرـيفـاتـ بـعـدـ الـبـحـثـ وـالـتـأـمـلـ ماـ يـلـيـ:
قال ابن عطية: "التدبر: النظر في أعقاب الأمور وتأويلات الأشياء"^(١١).

وقيل: "تدبر الأمر: تأمله والنظر في إدباره وما يؤلـ إليهـ فيـ عـاقـبـهـ وـمـنـتـهـاهـ، ثـمـ اسـتـعـملـ فـيـ كـلـ تـأـمـلـ فـعـنـيـ تـدـبـرـ القرآنـ: تـأـمـلـ معـانـيـ وـتـبـصـرـ مـاـ فـيـهـ"^(١٢).

وقال أبو حيان: "التفكير في الآيات، والتأمل الذي يفضي بصاحبـهـ إلىـ النـظـرـ فيـ عـوـاقـبـ الـأـشـيـاءـ"^(١٣).

(١) مئـاعـ الـقـطـآنـ، مـبـاحـثـ فـيـ عـلـومـ الـقـرـآنـ، (صـ: ٩٧).

(٢) عبدـ الحـمـيدـ بنـ عـبدـ الـكـرـيمـ الـأـنـصـارـيـ، الـفـراـهـيـ نـسـبةـ (الـفـراـهـيـ)ـ إـلـىـ قـرـيـتـهـ الـتـيـ وـلـدـ فـيـهـ، وـكـانـ أـحـدـ الـمـؤـسـسـيـنـ لـجـامـعـةـ الـعـثـمـانـيـةـ بـحـيـدـرـ آـبـادـ، تـوـفـيـ رـحـمـهـ اللـهـ - وـهـوـ يـتـلـوـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ - فـيـ ١٩ـ جـمـادـيـ الـآـخـرـةـ عـامـ ١٣٤٩ـ هـ. انـظـرـ: غـرـيـبـ الـقـرـآنـ عـنـ الـفـراـهـيـ، (١ـ٢ـ).

(٣) الفـراـهـيـ، دـلـائـلـ النـظـامـ (صـ: ٧٥).

(٤) مـصـطـفـيـ مـسـلـمـ، مـبـاحـثـ فـيـ التـقـسـيرـ الـمـوضـوعـيـ، (صـ: ٥٨).

(٥) انـظـرـ: سـامـيـ عـطـاـ حـسـنـ، الـمـنـاسـبـاتـ بـيـنـ الـآـيـاتـ وـالـسـوـرـ (صـ: ١٣).

(٦) الـمـحـكـ وـالـمـحـيطـ الـأـعـظـمـ، لـابـنـ سـيـدـهـ (٣١٠ـ٩ـ).

(٧) الـمـصـدرـ نـفـسـهـ (٣٢ـ٨ـ).

(٨) انـظـرـ: الـفـراـهـيـيـ، الـعـينـ، (٣٣ـ٨ـ).

(٩) انـظـرـ: الـزـبـيـديـ، تـاجـ الـعـرـوسـ (٢٦٦ـ١١ـ)، الـقـيـروـزـآـبـادـيـ، بـصـائـرـ ذـوـيـ التـميـزـ (٥٨٨ـ٢ـ).

(١٠) انـظـرـ: الـفـراـهـيـيـ، الـعـينـ، (٣٤ـ٨ـ)، الـزـبـيـديـ، تـاجـ الـعـرـوسـ (٢٦٥ـ١١ـ).

(١١) ابنـ عـطـيـةـ، الـمـحرـرـ الـوـجـيزـ (١٦١ـ٢ـ).

(١٢) الـزـمـخـشـريـ، الـكـشـافـ (٥٤٠ـ١ـ).

(١٣) أبوـ حـيـانـ، الـبـرـ الـمـحـيطـ (٣٧٩ـ٧ـ).

و عند ابن القيم: "تحقيق ناظر القلب إلى معانيه وجمع الفكر على تدبره وتعقّله وهو المقصود بإنزاله لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر".^(١)

وقال ابن عاشور: "والتدبر: إعمال النظر العقلي في دلالات الدلائل على ما نصبت له، وأصله أنه من النظر في دليل الأمر، أي فيما لا يظهر منه للمتأمل بادئ ذي بدء"^(٢).

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

من خلال ما سبق نجد أن تعريفات العلماء متقاربة في مضمونها، ترجع كلها إلى معنى التدبر في اللغة، وهو النظر في أواخر الأشياء وعواقبها، والتفكير فيها، ومنه كان التوافق بين المعنى اللغوي والاصطلاحي، ويكون حقيقته الشرعية معناها: النظر والتوصل إلى معزى الآيات القرآنية ومقاصدها وأهدافها وما ترمي إليه، عن طريق إعمال الفكر والتأمل وبذل الجهد الذهني في فهم الآيات.

المطلب الثالث: العلاقة بين تعريف علمي المناسبات والتدبر.

من خلال النظر في هذين التعريفين –المناسبات والتدبر- يظهر ما بينهما من عموم وخصوص في النقاط التالية:
الأول: أن كلاهما علم من علوم القرآن الكريم، قد بينهما العلماء في كتبهم كما فعل الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن، والسيوطني في كتابه الإتقان في علوم القرآن، وأفرد كل علم منها بالتأليف والتصنيف.

الثاني: أن كلامها يحتاج إلى تفسير الآيات القرآنية، فلا يحصل التدبر من غير معرفة المعنى، وكذلك لا يستطيع الوصول إلى المناسبة من غير معرفة المعنى.

الثالث: أن كلامها يهدفان إلى إبراز إعجاز القرآن الكريم من خلال نظمها، وروعة أسلوبها، وسبك ألفاظه.

الرابع: أن كلامها يحتاج إلى إعمال الفكر وعمق التأمل؛ فالقول فيهما قائم على النظر والاجتهد، وهذا من حيث العموم.

الخامس: أما من حيث الخصوص فالتدبر يحتاج إلى فهم إجمالي في الآية – وهذا أفله – إذ لا يشترط فيه الوقف على المفسرين والتحقق منها والغوص في دقائق كتب التفسير، أي: يمكن لأي شخص أن يتدارس القرآن بعد معرفة المعنى للآية، أما المناسبة فهي تفتقر إلى معرفة المعنى التحليلي حتى تكون سليمة وصحيحة من جميع الوجوه.

ال السادس: أن المقصود الأصلي للمناسبة هو بيان الترابط بين آيات القرآن وسوره، ومقصود التدبر هو الاتباع والاعتبار.

(١) ابن القيم، مدارج السالكين (٣٦٣/١).

^(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٨/٨٧).

(٣) [النساء: ٨١].

. [۲۴] (۴) محمد:

وأما علم المناسبات فهو خاص بالعلماء والمختصين في تفسير وعلوم القرآن الكريم.

الثامن: من خلال التأمل في مفهوم التدبر يتبيّن أنه ينبغي أن يتضمن عدّة أمور:

الأول: القراءة نظراً أو حفظاً أو الاستماع.

والثاني: معرفة المعانٰي، و التفسير جملة.

وَالثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ مَرْادِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَقَاصِدُ الْآيَاتِ

والرابع: حضور تأثر القلب وخشوعه.

الخامس: التطبيق وانساق الحوار للعمل

و السادس: الوصول للمعنى، الكلمة و اللطائف الدقيقة

وهذه أمور تقتضيها عملية التدبر، واجتماعها يمثل أعلى درجات التدبر، فحتى يؤتي أكله وثماره الطيبة، ينبغي للمتدبر أن يبذل الجهد في التأمل والتفكر، ويتمهّل ولا يعجل، ويكرر النظر مرة بعد مرة، وينتجّد بالصبر ولا يمل؛ لذا قال الزمخشري: "تدبر الأمر: تأمله والنظر في إدباره وما يقول إليه في عاقبته ومنتها، ثم استعمل في كل تأمل معنى تدبر القرآن: تأمل معانيه وتنصر ما فيه" (٣).

وعلی ذلك تكون المناسبات جزءاً للوصول إلى أعلى درجات التدبر.

الناتسعة: يعتبر علم التدبر أصلًا لأنه متقدم على علم المناسبات وسابق له، فلا يمكن استنباط المناسبة من النص قبل تدبره، والوقوف على معانيه ومراميه، فأفهام الناس متباعدة ومتفاوتة، وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم: "والمقصود تفاوت الناس في مراتب الفهم في النصوص، وأن منهم من يفهم من الآية حكمًا أو حكمين، ومنهم من يفهم منها عشرة أحكام أو أكثر من ذلك، ومنهم من يقتصر في الفهم على مجرد اللفظ دون سياقه ودون إيمائه وإشارته .. وأخص من هذا وألطف ضممه إلى نص آخر متعلق به ففيه من افتراءه به قدرًا زائداً على ذلك اللفظ بمفردته، وهذا باب عجيب من فهم القرآن لا يتناسب له إلا النادر من أهل العلم^(٤)

(١) [المؤمنون: ٦٦ - ٧٠].

٢٩ [ص: ٢]

(٣) الزمخشري، الكشاف (١/٥٤٠).

(٤) ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين (٣٥٤/١).

المبحث الثاني: علم المناسبات في ضوء تدبر القرآن الكريم، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أهمية علم المناسبات لمتدربر القرآن الكريم.

لا بد لمتدربر القرآن الكريم أن يكون متعاشياً مع سور القرآن وآياته، ومن خلال ذلك يستطيع أن يبرز الإعجاز البصري في التناوب بين آيات القرآن الكريم في السورة الواحدة، أو بين مقاطع السورة، أو المناسبة بين فوائح السورة وخاتمتها، أو المناسبة بين أول السورة وخاتمتها ما قبلها، أو المناسبة بين سور القرآن الكريم.

وقد بين العلماء قديماً وحديثاً أهمية علم المناسبات، يقول الزركشي: "وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"^(١).

ويقول مصطفى مسلم: " وعن طريق هذا العلم يعرف منه علل وترتيب أجزاء القرآن الكريم، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال لما اقتضاه الحال"^(٢).

ويقول البقاعي: "وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللب، وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين أحدهما: نظم كل جملة على حاليها بحسب التركيب، والثاني: نظمها مع اختها إلى الترتيب، وكلما دقق النظر في المعنى عظم عنده موقع الإعجاز"^(٣)، ولبيان أهميته بشكل تفصيلي لابد لنا من النقاط التالية:

١- يعتبر علم المناسبات من أشرف العلوم؛ لأنه يتعلق بكتاب الله، وهو بذلك علم دقيق يحتاج إلى فهم واضح لمقاصد القرآن الكريم وأهدافه، وتذوق لنظمها، ومعرفة محور السورة الرئيس والهدف الأساس الذي تدور حوله، فقد اعتبر بعض المفسرين أن نسبة هذا العلم من علم التفسير، مثل نسبة علم البيان من علم النحو^(٤).

٢- البحث في علم التناوب يفتح المدارك والأفهام لمتدربر كلام الله؛ لأن المناسبة لا تأتي إلا بعد بحث دقيق ونظر ثاقب في كلام الله؛ لهذا يقول الإمام الزركشي: "اعلم أن المناسبة علم شريف تحرز به العقول، ويعرف قدر القائل فيما يقول"^(٥).

٣- يبين مدى ارتباط الكلام بعضه ببعض حتى يصل المتدربر في القرآن الكريم إلى كمال تدبره، فيقوى بذلك الارتباط ويصير حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء، وبذلك يقول البقاعي: "علم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه الحال، وتتوقف الإجادة على معرفة مقصود السور المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبة من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو"^(٦).

٤- تكميل المقصود من كل سورة وفهم المراد من القرآن، والزركشي أكد أن فائدة التناوب "جعل أجزاء الكلام آخذة بعضها بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء"^(٧).

(١) الزركشي، البرهان (٦٢/١).

(٢) انظر: مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، (ص:٥٨).

(٣) البقاعي، نظم الدرر، (١١/١).

(٤) انظر: مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، (ص:٥٨)، البقاعي، نظم الدرر، (٦/١).

(٥) الزركشي، البرهان (٣٥/١).

(٦) البقاعي، نظم الدرر، (٦/١).

(٧) الزركشي، البرهان (٦٢/١).

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فمن تدبر القرآن، وتدبر ما قبل الآية وما بعدها، وعرف مقصود القرآن، تبيّن له المراد، وعرف الهدى والرسالة، وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج، وأما تفسيره بمجرد ما يحتمله اللفظ المجرد عن سائر ما يبيّن معناه، فهذا منشأ الغلط من الغالطين"^(١).

٥- يعين على فهم معنى الآيات القرآنية وتحديد المراد منها، حيث "أن أكثر لطائف القرآن الكريم مودعة في الترتيبات والروابط بين الآيات وال سور، فهو أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول"^(٢). وقدر ذكر الشاطبي في موافقاته أن القرآن الكريم: "يتوقف فهم بعضه على بعض بوجه ما، وذلك أنه يبيّن بعضه ببعض، حتى إن كثيراً منه لا يفهم معناه حق الفهم إلا بتفسير موضع آخر أو سورة أخرى"^(٣).

٦- معرفة المناسبة والنظام مفتاح لكثير من كنوز القرآن وحكمه، فهي توقف المتدارس عند الحكم والمقاصد وتعيين على فهم الآيات والربط بينها في الموضوع الواحد، وهناك أنواع متعددة للمناسبات كما في السورة الواحدة وفي مطلعها وخاتمتها وبين السورة وما قبلها وما بعدها وهكذا.

يقول الإمام الرازى إن "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"^(٤)، والباقعى يؤكّد أن "المقصود بالترتيب معان جليلة الوصف، بديعة الرصف، عالية الأمر، عظيمة القدر"^(٥)، وقال الفراهي: "ولما كان أكثر الحكم ومعالى الأمور مخبوءة تحت دلالات النظم، فمن ترك النظر فيه ترك من معنى القرآن معظمه"^(٦).

٧- إظهار أسرار الإعجاز القرآني والكشف عن كنوزه.
فالتناسب وجه من وجوه الإعجاز القرآني، ودليل آخر على ربانية هذا الكتاب العظيم، يقول الباقعى في نظم الدرر: "وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللب؛ وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين: أحدهما: نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب، والثاني: نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب"^(٧).

وحول الإعجاز في الترتيب، يقول الفخر الرازى في ختام تفسير سورة البقرة: "ومن تأمل في لطائف تفسير هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضاً بسبب ترتيبه ونظم آياته"^(٨).

٨- يقول الزرقاني^(٩): من فوائد علم المناسبات، جودة سبك القرآن، وإحكام سرده، ومعنى هذا أن القرآن الكريم بلغ من الترابط بين كلماته وآياته ومقاطعه وسوره مبلغاً لا يدانيه فيه أي كلام آخر^(١٠).

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٩٤ / ١٥).

(٢) البرهان (٣٥ / ١).

(٣) الشاطبي، الموافقات (٤ / ٢٧٥).

(٤) الرازى، مفاتيح القيب (١٠ / ١١٠).

(٥) الباقعى، نظم الدرر، (١ / ٨).

(٦) الفراهي، دلائل النظم (ص ٣٨).

(٧) البرهان (١ / ٦٢).

(٨) الرازى، مفاتيح القيب (٧ / ٦٠).

(٩) محمد عبد العظيم الزرقاني، من علماء الأزهر بمصر، تخرج في كلية أصول الدين، وعمل بها مدرساً لعلوم القرآن والحديث، صاحب كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن، توفي سنة ١٣٧٦ هـ. انظر: الزركلي، الأعلام (٤ / ٢٨).

(١٠) انظر: الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، (ص: ٤٥).

٩- معرفة سر التكرار في قصص القرآن الكريم، وأن كلَّ قصَّة أُعيدت وذُكرت في موطنٍ فلمناسبتها ذلك الموطن، فهي متاحة في المعنى وإن ذُكرت أكثر من مرة ^(١).

(١) انظر: البقاعي، نظم الدرر (١٤/١).

المطلب الثاني: معرفة المناسبات وأنواعها في ضوء تدبر العلماء للسور والآيات.

إذا تدبرنا سورة من سور القرآن الكريم، أخذتنا روعة ألفاظها في سهولتها نطقاً، وقرب مأخذها معنىً، ومجئها على قدر المعنى الذي صيغت له، والمتدبر لنظم القرآن الكريم يجد مفرداته متناسبة من حيث اللفظ والمعنى، وجاءت على قدر المعنى الذي صيغت له، بحيث لو رفع لفظ من الآية، أو استبدلته بأخر لاختل نظامها، وضاع المراد منها.

يقول ابن عطية: "وكتاب الله لو نزعت منه لفظة، ثم أدير لسان العرب على لفظة غيرها لم يوجد، ونحن يتبعين لنا البراعة في أكثره، ويختفي علينا وجهها في مواضع، لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ – في سلامه الذوق، وجودة القرىحة"^(١).

وإذا كان القرآن قد نزل في ثلات وعشرين سنة، ورتبت الآيات في المصحف ليس على ترتيب النزول، وكذلك السور، فليس معنى هذا ألا يطلب لها رابط، لأن الآيات بترتيبها في المصحف توقيفية، فهي على الواقع نزولاً، وعلى الحكمة الإلهية ترتيباً، واستبساط الرابط أساسه قوة ملاحظة المستبطن للمتدبر لآيات القرآن الكريم؛ ولذا يختلف استبساط الرابط باختلاف الناس، فأفهم الناس متباعدة ومتفاوتة، ومن هنا يظهر تفاوتهم في تدبره، وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم: "ومقصود تقاويم الناس في مراتب الفهم في النصوص، وأن منهم من يفهم من الآية حكماً أو حكمين، ومنهم من يفهم منها عشرة أحكام أو أكثر من ذلك، ومنهم من يقتصر في الفهم على مجرد اللفظ دون سياقه ودون إيمائه وإشارته .. وأخص من هذا وألطف ضمه إلى نص آخر متعلق به فيفهم من اقترانه به فراراً زائداً على ذلك اللفظ بمفرده، وهذا باب عجيب من فهم القرآن لا يتتبّه له إلا النادر من أهل العلم"^(٢).

والقاعدة في ذلك لمعرفة المناسبات في آيات القرآن الكريم وسوره، ترتكز على أمرتين اثنين:
الأول: أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها، أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سبقت له^(٣)؛ لأن فائدة المناسبة جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعنق بعض فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء^(٤).

الثاني: فهم النظام الكلي للسورة فـ"إن السورة مهما تعددت قضایاها فهي كلام واحد يتعلق آخره بأوله، وأوله بآخره، وبترامى بجملته إلى غرض واحد، كما تتعلق الجمل بعضها ببعض في القضية الواحدة، وإنه لا غنى لفهم نظم السورة عن استيفاء النظر في جميعها، كما لا غنى عن ذلك في أجزاء القضية.

وبها تعرف مبلغ الخطأ الذي يتعرض له الناظر في المناسبات بين الآيات حين يعكفون على بحث تلك الصلات الجزئية بينها بنظر قريب إلى القضيتيين أو القضيَا المتجاوِرَة، غاضبين أبصارهم عن هذا النظام الكلي الذي وقعت عليه السورة في جملتها، فكم يجلب هذا النظر الفاقد لصاحبه من جور عن القصد"^(٥).

(١) ابن عطية، المحرر الوجيز (٥٢/١).

(٢) ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين (٣٥٤/١).

(٣) محمد عبد المنعم القيعي، الأصلان في علوم القرآن، (ص: ٦٠).

(٤) السيوطي، الإنزال في علوم القرآن (٣/٣٢١).

(٥) دراز، النبا العظيم (ص: ١٩٢).

وينقل السيوطي ذلك عن بعض المتأخرین بقوله: "الأمر الكلی المفید لعرفان مناسبات الآیات فی جمیع القرآن هو أنك تتنظر الغرض من المقدمات، وتتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتتنظر عند انجراز الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقضي البلاغة شفاء العلیل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها؛ فهذا هو الأمر الكلی المهيمن على حکم الربط بين جمیع أجزاء القرآن، وإذا فعلته تبين لك - إن شاء الله - وجه النظم مفصلاً بين كل آیة وآیة في كل سورة"^(١).

وقد لخص البقاعي تجربته في التعرف على المناسبة فقال: "تتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها؛ فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو"^(٢).

والمتأمل لما كتبه سید قطب في - ظلاله - يجده سار على هذا المنوال في بيان أوجه الربط بين مقاطع السورة.

وبعد هذا التمهيد الذي يفيد متذمیر القرآن الكريم في معرفة المناسبة واستخراجها، يظهر أن أنواع المناسبات في القرآن الكريم كثيرة وعديدة، وقد بينها العلماء في كتبهم، كل حسب اجتهاده وتدبیره في آیات القرآن الكريم وسوره، ونجملها فيما يلي:

النوع الأول: المناسبات في السورة الواحدة، ويتضمن أقساماً، ومنها:

أولاً: المناسبة بين أول السورة لختمتها:

مثاله: ما في سورة القصص، فقد بدأت بقصة موسى عليه السلام، والوعد برده إلى أمه، ودعائه ألا يكون ظهيرا للمجرمين، ثم ختم الله السورة بتسلية رسولنا - صلی الله عليه وسلم - بخروجهم من مكة، ووعده بالرجوع إليها، (أَبْ بِ بَبْ بِ بِ پِ) ^(٣) وقد عاد إليها فاتحاً منتصراً، وقيل له فلا (جَ جَ) ^(٤).

ومثال آخر: قال الزمخشري: وقد جعل الله فاتحة سورة (أَبْ بِ)، وأورد في خاتمتها (نَؤْنُ نَؤْنِي، مَنِ). ^(٥) فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة!^(٦).

ثانياً: المناسبة بين الآية والتي تليها:

مثاله: قوله تعالى : (ثَثَثَثَثَ) ^(٧) فإنه لما ذكر في أول السورة استحقاق الله لكل المحمد، وكونه رباً للعالمين، وهو الرحمن الرحيم، وهو مع كل هذا الملك المتصرف في اليوم الذي لا ملك فيه لأحد إلا الله ..

(١) نقله السيوطي في الإنقاـن (١٤١ / ٢) عن بعض المتأخرین.

(٢) البـقـاعـيـ، نـظمـ الدـرـرـ (١ / ٦).

(٣) [القصص: ٨٥].

(٤) [القصص: ٨٦].

(٥) السـيـوطـيـ، الإنقاـنـ (٣٧٩ / ٣).

(٦) [المؤمنون: ١١٧].

(٧) نقله السـيـوطـيـ في الإنقاـنـ في عـلـمـ الـقـرـآنـ (٣٧٩ / ٣).

كان من شأن كل عاقل أن يُقْبِل على مَنْ هذه صفاتِه وتلك عظمته معترفًا بالعبودية له والذل الكامل لجنابه العظيم ملتاجًّا إليه طالبًا منه العون والمدد، ثم إنَّه لما حمد وأثنى ومجد واعترف بالعبودية ناسب أن يستشرف للطلب من ذلك الرب المستعن، فيقول (ثُدُّثٌ) (٢) :

ثالثاً: المناسبة بين الآية والتي قبلها:

ومثال ذلك قوله تعالى (وَمَنْ يُبَرِّهُ هُوَ لَهُ مَعْتَذِرٌ إِلَّا لَذِكْرِهِ) [الأعراف: ١٩]

ويظهر للإمام البقاعي مناسبة ذلك أن الله عزوجل لما أوجب للشيطان من الشقاوة لتماديه في لآدم وذرته، وما كان من أمره بعد ذلك، وكثرة كلامه في محسوده - التفت الله عز وجلى محسوده الذي لم يتكلم فيه كلمة واحدة، بل إنه انشغل بنفسه واكتفى بجزائه، ورضي بقضاء الله، فقال الله عز وجلى - وقد عطف عطا تناسبيا معجزا على الآية التي قبلها (أَبْيَكُ بِكُ بِكُ بِكُ)، قال (أَبْهَمَهُ بِهِ) فكان هذا الالتفات الرباني فيه من التشريف والإيناس لآدم وزوجه ما فيه (٣).

رأياعاً: المناسبة بين حكمين في الآيات أو الآية:

خامساً: المناسبة بين ختام الآية وصدرها:

مثاله: (وَفِي يَوْمَئِنَاءِ يَوْمٍ يُوْمِنُونَ فَيُنَبَّهُنَّ إِلَى عِزَّتِنَا) [آل عمران: ٩١]

ذكر الإمام البقاعي أن السامع لما تشوّف إلى معرفة مصير الذين كفروا وماتوا على كفرهم، وما يحل بهم، أجيّب بقوله تعالى (نُؤْنِيْوْ نُؤْنِيْوْ نُؤْنِيْيٰنِيْ). وبهذا يكون خاتمة قد ارتبط برابط مع حسن أولها^(٧).

(١) [الفاتحة: ٥].

الفاتحة: ٦

(٣) انظر: البقاعي، نظم الدرر (٣٧١/٧)

(٤) الآيات [النور: ٢٧-٢٨-٢٩]

(٥) [النور: ٣٠]

^٦) انظر: الشوكاني، فتح القدير، (٢٦/٤)

^(٧) انظر: البقاعي، نظم الدرر (٤٧٨/٤)

سادساً: المناسبة بين اسم السورة ومضمونها:

مثال: المناسبة بين مضمون سورة الكهف واسمها؛ فإن السورة قد ذكرت أنواع الفتن التي تمر بالمرء؛ إذ ذكرت فيها الفتنة في الدين في قصة الفتية، وفتنة المال في قصة صاحب الجنين، وفتنة العلم في قصة موسى والخضر، وفتنة السلطان في قصة ذي القرنين، وفتنة القوة والكثرة في خبر يأجوج ومأجوج، وذكرت هذه السورة المخرج من كل واحدة من هذه الفتن؛ فكأنها كهف لم ين اعتصم بها من الفتن، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال"^(١)

النوع الثاني: المناسبات بين السورتين: ويتضمن أقساماً منها:

أولاً: المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمة التي قبلها:

مثاله: في آخر سورة الإسراء قال تعالى (ذَهَّ بِهِ هَذِهِ سُنَّةُ أَنفُسِكُمْ)، وفي أول سورة الكهف التي تليها قال (وَفُوقُ الْقُوَّاتِ وَفُوقُ الْمُفْتَحَاتِ) ^(٢).

يقول البقاعي: "لما ختمت تلك بأمر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحمد عن التنزيه عن صفات النقص لكونه أعلم الخلق بذلك، بدأته هذه بالإخبار باستحقاقه سبحانه الحمد على صفات الكمال التي منها البراءة عن كل نقص، منبهاً بذلك على وجوب حمده بما شرع من الدين على هذا الوجه الأحكام بهذا الكتاب القيم الذي خضعت لجلاله العلماء الأقدمون، وعجز عن معارضته الأولون والآخرون، الذي هو الدليل على ما ختمن به تلك من العظمة والكمال، والتنزيه والجلال، فقال ملقتنا لعياده حمده، معلمًا لهم كيف يثبنون عليه، متفقًا لهم في اختلاف العبارات باختلاف المقامات"(٤)

ثانياً: المناسبة بين مضمون السورة و التي تلتها:

مثال: في سورة الصافى ذكر للنعم الحسية على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي سورة الشرح ذكر للنعم المعنوية عليه

يقول البقاعي: "ولما أمره صلى الله عليه وسلم آخر الصحبى بالتحديث بنعمته التي أنعمها عليه فصلها في هذه السورة فقال مثبناً لها في استفهام إنكارى مبالغة فى إثباتها عند من ينكرها والتقرير بها مقدماً المنة بالشرح فى صورته قبل الإعلام بالغفرة كما فعل ذلك فى سورة الفتح الذى هو نتيجة الشرح، لتكون البشارة بالإكرام أولًا لاقت القول إلى مظهر العظمة تعظيمًا للشرح، {الم شرح} أي شرحاً يليق بعظمتنا^(٥)

النوع الثالث: مناسبات عامة:

وهي المناسبات التي يذكرها العلماء مطلقة في القرآن وهي كثيرة جداً.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة الكهف، وأية الكرسي ح(٨٠٩).

الإسراء: ١١٢

الكتاب المقدس

(٤) البقاعي، نظم الدرر (١٢ / ٢).

^(٥) الباقي، المصدر السابق (٢٢ / ١١٥).

المطلب الثالث: ثمرات العلاقة بين علمي المناسبات والتثير وفوائدها.

المناسبات في سور القرآن الكريم وآياته علم شريف، قضى فيه العلماء كثيراً من أوقاتهم، واجتهدوا في استخراجها من خلال تدبرهم للقرآن الكريم وتفكيرهم فيه، ومن هنا كانت لهذه القضية ثمرتها التي يمكن أن تكمن في أمور كثيرة جداً؛ منها الآتي:

١ - ذهب جماهير العلماء إلى أن تلمس التناسب في القرآن من العلوم الشريفة التي تكتشف بتكشفها لطائف التنزيل وأسراره، يقول الإمام الرازبي: "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"، ويقول أبو بكر بن العربي: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المبني" - علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله عزّ وجلّ لنا فيه، فلما لم نجد له حملة ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه، وهذا العلم الذي هو علم دقيق المسالك خفي المدارك - يكشف للمتذمّر المتأمّل للطائف وأسراره التي عليها رتب الله كتابه.

٢- معلوم أن أهم محسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض وتنتفق مبانيه وتتناسب أطراه وتنسجم مكوناته؛ ويغدو خفيفاً على اللسان حتى لكانه بأسره كلمة واحدة؛ فيسلم بذلك من التناقض والتباين والاختلاف^(٣).

ويؤكد الأديب الراقي شيئاً أبعد من ذلك وهو أنك: "ولو تدبرت ألفاظ القرآن في نظمها، لرأيت حركاتها الصرفية واللغوية تجري في الوضع والتركيب مجرى الحروف أنفسها فيما هي له من أمر الفصاحة فيه بعضها البعض، ويساند بعضها، ولن تجدها إلا متألفة مع أصوات الحروف، مساوقة لها في النظم الموسيقي، حتى إن الحركة ربما كانت ثقيلة في نفسها لسبب الثقل أياها كان، فلا تعذب ولا تساغ وربما كانت أوكلت النصيبيين في حظ الكلام من الحرف والحركة، فإذا هي استعملت في القرآن رأيت لها شأنًا عجيباً، ورأيت أصوات الأحرف والحركات التي قبلها قد امتهدت لها طريقاً في اللسان، واكتفتها بضرورب من النغم الموسيقي حتى إذا خرجت فيه كانت أذب شيء وأرقه، وجاءت متمكنة في موضعها، وكانت لهذا الموضع أولى الحركات بالخفة والروعة"^(٤).

٣ - أن التناصب يجعل الكلام أخذًا بعضه بأعنق بعض؛ بحيث لا يختلف ولا يضطرب ولا يتضاد ولا يتعارض ولا يتفاوت بشكل من الأشكال؛ فيقوى بذلك الارتباط ويصير حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء، وفي ذلك من عظمة الكلام ما لا يخفى، وما ذلك إلا بسبب التدبر والتأمل في سور القرآن الكريم وآياته.

(١) [النساء: ١].

. [٢) الحج:]

(٣) انظر جمال الدين عبد العزيز، مقال <http://vb.tafsir.net/tafsir14836/#.VeOYiPlViko>

٤) تاريخ أداب العرب (١٥٠ / ٢)

٤ - إن الصفة الجوهرية التي حام حولها دارسو الإعجاز - على اختلاف مدارسهم وتعدد رؤاهم وتبادر أبعادهم - هي مسألة التناسب والنظم؛ ويقول الرازي: "إن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه - فهو أيضاً بسبب ترتيبه ونظم آياته"^(١)، وهذه الصفة الجوهرية في القرآن لا تكاد تخفي على كل من تدبره ولو تدبراً يسيراً.

يقول سيد قطب: "والتناسق المطلق الشامل هو الظاهره التي لا يخطئها كل من تدبر القرآن أبداً، ومستوياتها ومجالاتها مما تختلف العقول والأجيال في إدراك مداها ... تتجلى هذه الظاهرة - ظاهرة عدم الاختلاف أو ظاهرة التناسب - ابتداء من التعبير القرآني من ناحية الأداء وطراوئه الفنية ... والكمال في الأداء بلا تغير ولا اختلاف من مستوى إلى مستوى ... وتتجلى هذه الظاهرة بعد ذلك في ذات المنهج الذي تحمله" ولا يقصر سيد قطب التناسب المطلق والتناسق الشامل على الكتاب العزيز فحسب؛ بل يجعله أمراً منهجاً ينتظم الدين وحقائقه كلها؛ يقول: "هناك التناسق الشامل العجيب في طبيعة الدين وحقائقه ومشهد التكامل الجميل الدقيق في منهجه للعمل وطريقته، إن هذا الدين لا يعود مجموعة معتقدات وعبادات وشرائع وتوجيهات؛ إنما يبدو تصميمًا واحداً متداخلاً متراكاً متعاشقاً"^(٢).

لذا يجب على متذكر النص القرآني أن يفهم النص وفق ترتيب النظم، أما الفهم الذي يقوم على أساس التغيير في النظم القرآني بالتقديم أو التأخير لجملة أو كلمة فقد يؤدي إلى فهم غير صحيح، أو غير المراد، أو إلى تعطيل دلالة النص وإلى حرفة عن المعنى المراد الذي لا يُفهم إلا بإبقاء النظم القرآني على حاله^(٣).

يقول الدكتور دراز في كتابه *النبا العظيم*: "إنك لنقرأ السورة الطويلة المنجمة يحس بها الجاهل أضفأثاً من المعاني حشيت حشوأ وأوزاعا من المبني جمعت عفوأ فإذا هي — لو تدبرت — بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول وأقيم على كل اصل منها شعب وفصول وامتد من كل شعبة منها فروع تقصـر أو تطول فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنـيان واحد قد وضع رسمـه مـرة واحدة، لا تحس بشيء من تناكر الأوضاع في التقسيـم والتـنسـيق، ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق إلى طريق بل ترى بين الأجنـاس المختـلـفة تمامـاً الألفـة كما ترى بين أحـادـ الجنسـ الواحدـ نهايةـ التـضـامـ والـالـتـحـامـ كلـ ذـلـكـ بـغـيرـ تـكـلـفـ ولاـ استـعـانـةـ بأـمـرـ خـارـجـ المعـانـيـ أـنـفـسـهـاـ وإنـماـ هوـ حـسـنـ السـيـاقـةـ وـلـطـفـ التـمهـيدـ فيـ مـطـلـعـ كـلـ غـرـضـ وـمـقـطـعـ وـأـتـائـهـ يـرـيكـ المـفـصـلـ مـتـصـلـاـ وـالـمـخـتـلـفـ مـؤـنـفـاـ.ـ ولـمـاـ نـقـولـ إـنـ هـذـهـ المعـانـيـ تـنـسـقـ فـيـ السـورـةـ كـمـاـ تـنـسـقـ الـحـجـرـاتـ فـيـ الـبـنـيـانـ؟ـ لـاـ بـلـ إـنـهـ لـتـلـتـحـ فـيـهاـ كـمـاـ تـلـتـحـ الـأـعـضـاءـ فـيـ جـسـمـ الـإـنـسـانـ،ـ فـيـنـ كلـ قـطـعـةـ وـجـارـتـهاـ رـبـاطـ مـوـضـعـيـ منـ أـنـفـسـهـاـ كـمـاـ يـلـتـقـيـ الـعـظـمـانـ عـنـ الـمـفـصـلـ وـمـنـ فـوـقـهـاـ تـمـدـ شـبـكـةـ مـنـ الـوـشـائـجـ تـحـيطـ بـهـماـ عنـ كـثـبـ كـمـاـ يـشـتـبـكـ الـعـضـوـانـ بـالـشـرـابـيـنـ وـالـعـرـوقـ وـالـأـعـصـابـ وـمـنـ وـرـاءـ ذـلـكـ كـلـ يـسـرـيـ فـيـ جـمـلةـ السـورـةـ اـتـجـاهـ مـعـينـ وـتـؤـدـيـ بـمـجـمـوعـهـاـ غـرـضاـ خـاصـاـ،ـ كـمـاـ يـأخذـ الـجـسـمـ قـوـاماـ وـاحـداـ وـيـتـعـاوـنـ بـجـمـلةـ عـلـىـ أـدـاءـ غـرـضـ وـاحـدـ مـعـ اـخـتـالـفـ وـظـائـفـهـ العـضـوـيـةـ"^(٤).

٤ - ومن الثمرات المهمة إزالة وهم التعارض والتناقض في نصوص القرآن وتقريراته المتكررة بأساليب متنوعة حسب المواقف والمناسبات وخاصة في القصص والمواعظ والإذار والتبيشير والمشاهد الكونية والأخروية،

(١) الرازي، مفاتيح الغيب (١٠٦ / ٧).

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن (٢ / ٧٢١).

(٣) انظر: الميداني، قواعد التدبر الأمثل (ص ٢٠٧ ، ص ٢٠٧).

(٤) دراز، *النبا العظيم* (ص: ١٨٨).

وبنوع أخص في عبارات وجمل الهدایة والضلال والکفر والإیمان، ففي تدبر سیاق كل مناسبة وكل جملة قرآنیة من هذا القبيل يمكن أن يلمح الناظر في القرآن حکمة ورود كل منها بالأسلوب الذي وردت به، والمناسبة التي جاء فيها، والمعنى الذي أريد منها، والهدف الذي استهدفه، وكل هذا قد يكون متنوعاً بتنوع المواقف والأساليب والمضامين والسیاق، فيطمئن بسلامة المعنى وحكمة النص الوارد في السیاق الذي ورد فيه، ويزول وهم التعارض والتناقض وما يؤدي إليه من الحيرة أحياناً، ويحمل عليه من التکلف والتتجوز والتخریج والجدل على غير ضرورة ولا طائل وعلى غير اتساق مع الهدف القرآنی ونطاقه^(١).

٥- إن تدبر الآيات: التفكير فيها، والتأمل الذي يؤدي إلى معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحیحة والمعانی الحسنة؛ لأن من اقتتن بظاهر المتن، لم يحل منه بكثير طائل، وكان مثله كمثل من له لقحة درور لا يحلبها، ومهرة نثر لا يستولدها، وعن الحسن: قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتاؤيله: حفظوا حروفه وضيعوا حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: والله لقد قرأت القرآن فما أسقطت منه حرفاً، وقد والله أسقطه كله، ما يرى للقرآن عليه أثر في خلق ولا عمل، والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، والله ما هؤلاء بالحكماء ولا الورعاء، لا كثرة الله في الناس مثل هؤلاء. اللهم اجعلنا من العلماء المتذربين، وأعذنا من القراء المتكبرين^(٢).

٦- البحث في المناسبات يحقق الأمر الشرعي بالتدبر الذي ذكره الله تعالى في قوله (ج ج ج ج ج ج)^(٣).
ومن هنا يظهر أن ملاحظة السیاق والتقارب والترابط بين الفصول والمجموعات القرآنیة ضرورية ومفيدة جداً في فهم مدى القرآن ومواضيعه وأهدافه من جهة وفي لمس ناحية من نواحي الروعة والإعجاز والإتقان فيه، لأنهما يظهران الناظر في القرآن^(٤).

٧- ومن الجوانب التي التفت إليها العلماء المتذربون للقرآن الكريم، متشابهات آياته؛ وهي تلك الآيات التي تتشابه في ألفاظها وتترد في أكثر من موضع مع اختلاف يسير في التعبير بتقديم أو تأخير أو زيادة أو نقصان أو إبدال أو غير ذلك مما يوجب اختلافاً بينها، ومن هنا انبثقت فكرة "المناسبة اللغوية"^(٥).

لقد انطلق العلماء في تدبرهم لهذه المتشابهات وغيرها من فكرة التناسُب بين ألفاظ القرآن وآياته وسوره؛ والتي مفادها أن كل آية لا تليق إلا بموضعها الذي وردت فيه دون غيره، ملائمة لسياقها، لا يسد غيرها مسدها.
والمناسبة اللغوية نوع من أنواع التناسُب، الذي اعتمدته العلماء المتذربون في توجيه الآيات المتشابهات وبيان أسرار التنزيل، ووصفت المناسبة بـ "اللغوية": لأن التناسُب يعود فيها إلى أمور لغوية.

والحق أن لكل من اللفظ والمعنى مكانة في البلاغة، وأن كلاًً منهما ينبغي مراعاته في ذلك، وافتراض أن مراعاة أحد الجانبين لا يكون إلا على حساب الآخر، افتراض لا يناسب بلاغة القرآن، التي بلغت الغاية في الحسن ألفاظاً ومعانٍ.

(١) انظر: محمد دروزة، التفسير الحديث، (١٩٤ / ١).

(٢) الزمخشري، الكشف (٤ / ٩٠).

(٣) [ص: ٢٩].

(٤) محمد دروزة، التفسير الحديث (١٩٣ / ١).

(٥) انظر: جمال الدين عبد العزيز، مقال بملتقى أهل التفسير على الشبكة العنكبوتية، رابط:
<http://vb.tafsir.net/tafsir14659/#.VeOnePIViko>

ويحرر الزركشي المسألة بقوله: "ولا فرق بين ما يرجع الحسن فيه إلى اللفظ أو المعنى، وشد بعضهم فزعم، أن موضع صناعة البلاغة فيه إنما هو المعاني، فلم يعد الأساليب البلاغية والمحاسن اللغوية، وال الصحيح أن الموضوع مجموع المعاني والألفاظ"^(١).

يقول الدكتور محمد أبو موسى في الرد على من قال بضعف التعلييلات اللغوية: "لا ضير إذا قلنا إن القرآن يراعي الفاصلة، فيبدل في كلمته أو يضع مكانها أخرى، لأن هذا ليس أمراً لفظياً هيناً، كما فهمه بعض البالغين، وقليل منهم تتبه إلى قيمة الأثر الصوتي أو الأثر الموسيقي في التأثير والإيحاء، وظل أكثرهم يفهم أن شؤون اللفظ لا تدعو أن تكون محسنات سطحية لا تتصل بجوهر البلاغة، وليس من الخطأ في الدين ولا في البلاغة أن تقول: إن القرآن يهتم بالناحية اللغوية؛ لأنها جزء من أسلوبه، وأنها من دواعي التأثير وتلك وظيفة القرآن، فالغرض منها أولاً قيادة النفس الإنسانية إلى سبيل الخير فمن المحتمن أن يأخذ كل سبيل إلى هذه الغاية، فلا يهمل هذا الجانب المهم في بلاغته"^(٢).

وقد تتبه العلماء المتذمرون إلى أثر مراعاة المناسبة اللغوية في اختيار الألفاظ، وترتيب الكلمات، فكانوا كثيراً ما يعزون الفروق التعبيرية بين جملة من الآيات المتشابهة إلى هذا المسلك، دون أن يغفلوا مراعاة الجانب المعنوي، الذي قد يبرز أحياناً، وقد يخفي أحياناً، وخفاؤه أو عدم ذكره، لا يعني بأي حال عدم وجوده.

٨- إن ربط بعض الآيات بعض، وكذلك البحث عن مناسبات السور علم اجتهادي دقيق، وليس هناك أحد من يهتم بالمناسبات يجزم بما ذكره من اجتهاداته في المناسبات أنها هي مراد الله من كلامه عز وجل.

ونرى أن الإمام السيوطي تعالى يشير إلى ذلك وأن هذا العلم لا يكون إلا باجتهاد علمي، ونتاج فكري حيث يقول: " وقد أردت أن أفرد جزءاً لطيفاً في نوع خاص من هذه الأنواع، وهو مناسبات ترتيب السور ليكون عجلة لمريده، وبغيه لمستفيده، وأكثر ذلك من نتاج فكري، وولاد نظري، لقلة من تكلم في ذلك أو خاض في هذه المسالك. وما كان فيه لغيري صرحت بعزوه إليه، ولا أذكر منه الا ما استحسن ولا انتقاد عليه، وقد كنت أولاً سميته "نتائج الفكر في تناسب السور" لكونه من مستنتاجات فكري كما أشرت إليه، ثم عدلت وسميته "تناسق الدرر في تناسب السور"؛ لانه أنساب بالمعنى وأزيد"^(٣).

والسياسة الرشيدة في دراسة النسق القرآني تقضي بأن يكون هذا النحو من الدرس هو الخطوة الأولى فيه، فلا يتقدم الناظر إلى البحث في الصلات الموضعية بين جزء منه - وهي تلك الصلات المثبتة في مثاني الآيات ومقاطعها-. إلا بعد أن يحكم النظر في السورة كلها بإحصاء أجزاءها وضبط مقاصدتها على وجه يكون معواناً له على السير في تلك التفاصيل عن بينة؛ فقدّيما قال الإمام: "إن السورة مهما تعددت قضائياها فهي كلام واحد يتعلق آخره بأوله، وأوله بآخره، ويتراكم بحملته إلى غرض واحد، كما تتعلق الجمل بعضها ببعض في القضية الواحدة. وإنه لا غنى لتقهم نظم السورة عن استيفاء النظر في جميعها، كما لا غنى عن ذلك في أجزاء القضية".

(١) الزركشي، البرهان، (٤٨٣/٢).

(٢) محمد أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، (ص:٢٤٢).

(٣) السيوطي، تناسق الدرر (ص:٢٦).

وبها تعرف مبلغ الخطأ الذي يتعرض له الناظر في المناسبات بين الآيات حين يعكفون على بحث تلك الصلات الجزئية بينها بنظر قريب إلى القضيتيين أو القضياء المتجاورة، غاضبين أبصارهم عن هذا النظام الكلي الذي وقعت عليه السورة في جملتها، فكم يجلب هذا النظر القاصر لصاحب من جور عن القصد^(١).

٩- إن تدبر القرآن وتأمل ما امتاز به هو طريق الهدية القويم، وصراط الحق المستقيم، فإنه يرشد إلى كونه من عند الله، وإلى وجوب الاهتداء به، وإلى أنه معقول في نفسه موافق لفطرة ملائمة للمصلحة، وفيه سعادة الخلق في الدنيا والآخرة، ولو تدبر المسلمون القرآن واهتدوا به في كل زمان لما فسست أخلاقهم وأديائهم، ولما ظلم واستبد حكامهم، ولما زال ملوكهم وسلطانهم، ولما صاروا عالة في معيشتهم على سواهم، وهذا التدبر لا يمنع أن يستتب أولى الأمر الأحكام العامة في السياسة والقضاء والإدارة، وتتبعهم فيها سائر الأمة^(٢).

وهنا كان ختم هذا البحث، والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

أحمد الله تعالى الذي يسرّ لي إنتهاء هذا البحث، وبعد اكتمال الفرحة باختتامه كان لا بد لي من أن أسطر نتائجه المفيدة التي عادت عليّ بفوائد عديدة، وهذه أهمها:

- ١- إثبات علم المناسبات، هو باب عظيم لفهم كتاب الله وتدبر معانيه، أن استنباط المناسبة من التدبر المأمور به، ويُشترط لقبوله ما يشترط لقبول التفسير.
- ٢- المناسبات منها ما هو ظاهر، ومنها ما هو خفي يحتاج إلى مزيد عناية وشدة تدبر، وزيادة تفكير ولها يجب الحذر من التسرع في تلمس النتائج وإظهار التناصب.
- ٣- النص القرآني في إعجازه بنظامه لا يمكن تناوله بمعزل عن سياقه الداخلي - ترابط العلاقات - ضمن علم شريف هو علم المناسبة، ولا يبتعد أيضاً عن سياقه الخارجي المقام في إظهار ربط السابق باللاحق من الآيات على نسق موضوعي مترابط ضمن "التفسير الموضوعي"، وصولاً للغایات والمضامين القرآنية.
- ٤- إن ربط بعض الآيات بعض، وكذلك البحث عن المناسبات السور علم اجتهادي دقيق، وليس هناك أحد من يهتم بالمناسبات يجزم بما ذكره من اجتهادات في المناسبات أنها هي مراد الله من كلامه عز وجل.
- ٥- دائرة علم التدبر أوسع من دائرة علم المناسبات: فالتدبر خوطب به الجميع، وأما علم المناسبات فهو خاص بالعلماء والمحظيين في تفسير القرآن الكريم.
- ٦- موضوع التناسب بين آيات القرآن وسوره، هو من الموضوعات التي ينبغي أن تتفرغ لها جهود العلماء، والمهتمين بالدراسات القرآنية، فهو يعين على الفهم الصحيح لكتاب الله تعالى، وعلى تحقيق مقاصد هذا الكتاب العظيم في نفوس المؤمنين.

(١) دراز، النبأ العظيم (ص: ١٩٢).

(٢) المراغي، تفسير المراغي (١٠٣ / ٥).

وأما التوصيات في ذلك:

١- موضوع التناسب بين آيات القرآن وسوره، هو من الموضوعات التي ينبغي أن تتفرغ لها جهود العلماء، والمهتمين بالدراسات القرآنية، فهو يعين على الفهم الصحيح لكتاب الله تعالى، وعلى تحقيق مقاصد هذا الكتاب العظيم في نفوس المؤمنين.

٢- إفراد موسوعة شاملة لبيان المناسبات بين السور والآيات، وجمع ما كتبه العلماء في ذلك من خلال تدبرهم لسور القرآن الكريم وآياته في مؤلف مستقل جامع.

وختاماً، وبعد الجهد يعلم الباحث أنَّ بضاعته مُرْجَأة، وحسبه في ذلك أنَّ المُحَلَّ قابل للتعديل كثيراً، ولأجله يقول بقول القائل:

وإن كان خُرُقٌ فادِرُكُه بفضلة من الْحَلْمِ، وليُصلِّحَه مَنْ جَادَ مِقْوَلاً

والشُّكُرُ في هذا المقام وبعد نعمة التمام لله المولى؛ على ما وهب وأولى وأعان على إتمام هذا البحث، فله المنَّةُ من قبْلِ ومن بعْدِ، والحمد لله رب العالمين، وصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدَ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

وكتبه

د. طارق يوسف إسماعيل سليمان الغزي

فلسطين- غزة

المدنى منزلاً-المدينة المنورة

المراجع

- ١- الإنقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت: مركز الدراسات القرآنية، دار النشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الأولى.
- ٢- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.
- ٣- كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بدون طبعة.
- ٤- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، د. محمد أبو موسى، ط٢ (القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤٠٨هـ).
- ٥- الكشاف عن حائق غوامض التنزيل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ)، ط: دار الكتاب العربي-بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
- ٦- المواقفات، إبراهيم بن موسى الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

- ٧-قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم – دمشق، الطبعة الأولى، سنة النشر: ١٤٠٠ – ١٩٨٠.
- ٨-مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ٩-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، أبو بكر إبراهيم بن عمر، ١٩٨٤، الطبعة الأولى، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر.
- ١٠-صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: سنة ٢٥٦هـ)، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط: دار طوق النجا، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ١١-دلائل النظام، عبدالحميد الفراهي الهندي (ت: ١٣٤٩هـ)، الطبعة الحميدية، سنة ١٣٨٨هـ.
- ١٢-البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسى، ت: صدقى محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، سنة الطبع: ١٤٢٠هـ.
- ١٣-فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، ط: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
- ١٤-الأصلان في علوم القرآن، أ. د. محمد عبد المنعم القيعي، الناشر: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، الطبعة الرابعة ، ١٩٩٦هـ - ١٤١٧هـ.
- ١٥-في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربى (ت: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق - بيروت- القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢هـ.
- ١٦-القاموس المحيط، أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ١٧-كتاب التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، ت: جماعة من العلماء، ط: دار الكتب العلمية - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ١٨-لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور (ت: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى.
- ١٩-مباحث في التفسير الموضوعي، د/ مصطفى مسلم، دار القلم: دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- ٢٠-مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مؤسسة الرسالة: بيروت، الطبعة ٢٢.
- ٢١-مجموع الفتاوى، نقى الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، ت: عبد الرحمن بن محمد بن فاس، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، عام النشر: ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- ٢٢-إعلام المؤفعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ٢٣-البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

- ٤-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ)، ت: عبد السلام عبد الشافي، ط: دار الكتب العلمية، سنة النشر ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ٥-مخترار الصحاح، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، ت: يوسف الشيخ، ط: المكتبة العصرية-الدار النموذجية، بيروت-الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٦-صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحاج القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٧-مَصَاعِدُ النَّظَرِ لِلإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوِّ، أبو بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، دار النشر: مكتبة المعرف - الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- ٨-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبو العباس أحمد بن محمد الحموي، (ت: نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية - بيروت.
- ٩-المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، ط: دار الدعوة.
- ١٠-معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: اتحاد الكتاب العرب، الطبعة: ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م.
- ١١-تاج العروس من جواهر القاموس، أبو الفيض محمد بن محمد الملقب بمرتضى الزبيدي (المتوفى: ٢٠٥هـ)، ت: مجموعة من المحققين، ط: دار الهداية.
- ١٢-مفآتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤٢٠هـ.
- ١٣-المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، ت: صفوان عدنان الداؤدي، ط: دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٢هـ.
- ١٤-البرهان في تناسب سور القرآن، للإمام أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقي، ت: سعيد بن جمعة الفلاح، دار ابن الجوزي.
- ١٥-مقال بملتقى أهل التفسير على الشبكة العنكبوتية، لصاحبه جمال الدين عبد العزيز، رابط:
<http://vb.tafsir.net/tafsir14836/#.VeOYiPlViko>
- ١٦-موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات، للدكتور أحمد الشرقاوي، بدون طبعة.
- ١٧-النبا العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد بن عبد الله دراز (ت: ١٣٧٧هـ)، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلي، دار القلم للنشر والتوزيع، الطبعة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م
- ١٨-التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤هـ.
- ١٩-مناسبات الآيات والسور، أ. د. أحمد حسن فرجات، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بدون طبعة.

- ٤- منهاج العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، المحقق: فواز أحمد زمرلي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.
- ٤- مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع - بحث في العلاقات بين مطالع سور القرآن وخواتيمها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، قرأه وتممه: د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
- ٤- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، مطبعة المحمدية، الطبعة السابعة عشرة.
- ٤- التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]، دروزة محمد عزت، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، الطبعة: ١٣٨٣هـ.
- ٤- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، ت: سامي بن محمد سلامة، ط: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
- ٤- أسرار التكرار في القرآن، محمود بن حمزة أبو القاسم الكرماني، (ت: نحو ٥٠٥هـ)، ت: عبد القادر أحمد عطا، أحمد عبد التواب عوض، دار النشر: دار الفضيلة.